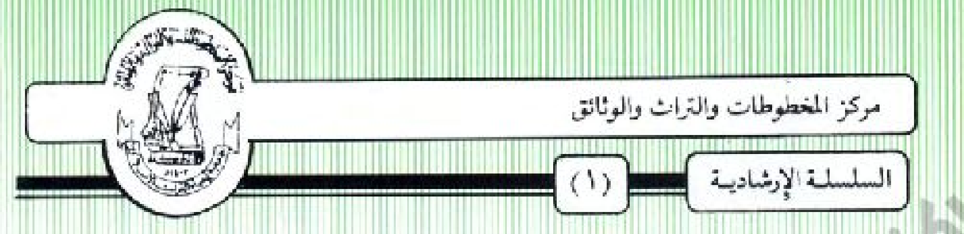


جزء فيه

تشحيذ الهمم إلى العلم

تصنيف

محمد بن إبراهيم الشيباني

منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق
الكويت - ١٩٩٣م

٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾ [النساء: ١]

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

بعد القرون الثلاثة الأولى الزاهرة قام علماء أفذاذ حملوا التركة الضخمة الثرية التي خلّفها عظماء الصحابة، فأخذوا ينشرون هذا الميراث العظيم بين أبناء الأمة جيلاً بعد جيل، حتى غدا هذا العلم مشاعاً بين أهله، وراحت أمته تنهل منه، وتروي غيرها من

عذوبته، ومن زلاله الصافي .

وقد عني الإسلام بالعلم وأهله فيما عني، ونوه سبحانه وتعالى إليه في آيات كثيرة ومدح حامليه ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾ [الزمر: ٩] فمن عدله تعالى الحكيم أن رفع قدر العلم، وقدر حملته، ورفع منزلتهم عن غيرهم من الذين لا يعلمون، وبين أنهم هم الفائزون إن أخذوه بحظ وافر، وطريق سليم مسترشد بنور هديه، ووحي نبيه ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماءُ**﴾ [فاطر: ٢٨] و«العلماء ورثة الأنبياء» والإسلام ينظر إلى العلم على أنه إقبال من العبد عليه فيفتح له المغاليق، ويعده عليه من أكبر النعم والمنح التي تتطلب من حملته رعايتها، فإن أحسنوا قدرها فقد أدلجوا على مهل، وإن هم بخسوها حقها، وجحدوا فضلها، وفقدوا استقامة طريقها ووضوح رؤيتها، فإن الجيش قد صبَّحهم وأضاع عليهم أموالهم وأنفسهم، فكانوا كمثل القائل: «تشتت القوم في شذرَ مذرَ وشغرَ مقر» .

فالإسلام ينصح مريدي العلم والراغبين فيه بالاستقامة في طلبه، والأمانة في نقله، والخوف من عاقبة عدم تطبيقه ونشره، والتحلي بآدابه في السر والعلن، والاستفادة من تاريخه الصادق الذي تحدث عن أمته التي أضاءت بشمسها الأرض وأحيت بها حملته الموات .

في رسالتنا الصغيرة هذه إطلالة سريعة على العلم والعلماء من نافذة العبد الفقير إلى الله تعالى مذكراً إخوانه بما كان عليه الأوائل

من الهمـة والسعي الحثيث المبـارك في طلبه، لعلّه ينتفع بها هو وإخوانه المسلمون .

والله على ما نقول شهيد وبالإجابة جدير، وهو الذي بنعمته تتم الصالحات .

أول المطالب

* إحسان النية :

يقول الشوكاني رحمه الله : « . . . من أعظم الهدايا، فأول ما على طالب العلم، أن يحسن نيته، ويصلح طويته، ويتصور أن هذا العمل الذي قصد له، والأمر الذي أراده هو الشريعة التي شرعها الله سبحانه وتعالى لعباده وبعث بها رسله وأنزل بها كتبه» .

* تجريد النفس عن حظوظ الدنيا :

فلا ينبغي لمن ينال العلم أن يهدف من وراء علمه إلى الظفر بشيء من المال أو الشرف أو التعالي على الناس والعباد من غرور وتكبر ومعاصي . فإصلاح النفس من أهم الأمور التي ينبغي أن يقوم بها من أراد العلم، فالنفس لها هواها وشهواتها ورغباتها فإذا لم تكن هذه الرغبات والطلبات مسترشدة بالتقوى وحب العفة والصلاح، فلن تذعن للخير والطريق السوي، فالعلم الخشية كما قال عبدالله بن مسعود .

أساسيات لا بدّ منها :

معرفة متمكنة في العقيدة ليتربى القلب على معرفة الله تبارك وتعالى، والخوف منه، والركون إليه، واللجوء إلى حماه في السراء والضراء، والقرب منه في معرفة أسمائه وصفاته العليا، التي بها الدواء الكافي، والعلاج الناجع، والبلسم الشافي . ففي معرفة

العقيدة وأقسامها وما تفرع عنها درء من الوقوع في الانحراف والزيغ والضلال، فمن عظم شيئاً احترمه وقدره .

وعندما يتعلم طالب العلم التوحيد فإنه يحمي نفسه من آفات الشرك والبغي وطمس نور البصيرة والقنوط ﴿**ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون**﴾ [الحجر: ٥٦] .

*** السيرة النبوية :**

يقول ابن فارس اللغوي : «كيف يسمي نفسه أديباً وهو لا يعرف من هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار» .

ونقول كيف يسمي طالب العلم نفسه طالباً وهو لا يعرف كيف كانت سيرة نبيه وما فيها من الفضل والرحمة والهدى . فاكتساب الورع والتقوى والخوف بعد معرفة الله تعالى لا يكون إلا بمحبة الرسول ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده» .

ويقول ابن فارس في كتابه القيم (أوجز السير لخير البشر) : «هذا ذكر ما يحق على المرء المسلم حفظه، وتجب على ذي الدين معرفته، من نسب رسول الله ﷺ ومولده ومنشئه ومبعثه وذكر أحواله في مغازيه ومعرفة أسماء ولده وعمومته وأزواجه، فإن للعارف بذلك رتبة تعلو على رتبة من جهله . كما أن العلم به حلاوة في الصدر . ولم تعمر مجالس الخير - بعد كتاب الله عزَّ وجلَّ - بأحسن من أخبار رسول الله ﷺ .

ومن أحسن ما كتب في سيرته «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن القيم . وقد كتبه وهو في طريقه إلى الحج مما يدلنا دلالة واضحة على أن أهل العلم السابقين كانوا يحفظون سيرته عن ظهر قلب، ويعتبرونها من أجل القربات، وأفضل العلوم الشاحذة للهمم والتسابق في مجالاته . ومن كان ديدنه ذلك ينشأ عنده العلم النافع المحفوف بالتقوى والمخافة .

الفهـرسـت